

تبدأ الحادثة أو أين تقف الحادثة وأين يبدأ التراث؟ وهل يمكن خلق وشائج التفاهم في عالم بني في أصله على نظام الثنائيات خدمة للغرض الإنساني على الأقل.

- مفهوم التأويل:

لغة: مادة "أول" في كل استعمالها اللغوية تفيد معنى الرجوع، والعود، جاء في اللسان: "الأول: الرجوع: آل الشيء يؤول أولاً ومألاً: رجع، وأول إليه الشيء: رجعه، وآلت عن الشيء: ارتددت... والإيل والأيل: من الوحش، وقيل هو الوعل، قال الفارسي: سعي بذلك لمآله إلى الجبل يتحصن فيه... وقال أبو عبيد في قوله: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} ¹ قال: التأويل المرجع والمصير، مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه، وأولته: صيرته إليه..." ويقال تأولت في فلان الأجر إذا تحيرته وطلبته. الليث التأل والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح إلا ببيان غير لفظه وأنشد يقول:

نحن ضربناكم على تنزيله

فاللوم نضربكم على تأويله"

وأول الكلام وتأوله: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسره وقوله عز وجل { ولما يأتهم تَأْوِيلُهُ } أي لم يكن معهم علم تأويله ، وهذا دليل على أن علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه ².
اصطلاحاً : يطلق التأويل على معاني ثلاثة: الأول: كما عرفه ابن الأثير: التأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ماترك ظاهر اللفظ ومنه قول عائشة - رضي الله عنها -: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا ولك الحمد: اللهم اغفر لي، يتأول القرآن ³."

الثاني: يراد بلفظ التأويل: التفسير وهو اصطلاح كثير من المفسرين.

أصول التأويل وآلياته بين مفاهيم التراث

ومعطيات المحادثة

الإجراءات والممارز

د. بلخير ارفيس

جامعة المسيلة

تستقي هذه الورقة رؤيتها من قلق فكري ما انفك يراود المنظومة الفكرية التراثية من أجل حملها على الانصياع لمفاهيم وأطروحات ابستمولوجية، ثم إجبارها على الإقرار بضرورة اعتماد آليات تستجيب لمقتضيات النص باعتباره منتجا بغض النظر عن الخصوصية التي يحملها أو القداسة التي يكتنفها.

غير أن أي قراءة واعية ينبغي عليها أن تقر على الأقل بأمرين: أحدهما أن التراث والحادثة منظومتان فكريتان- بما تحمله كلمة منظومة من شحنات فكرية وما تتبناه من أطر معرفية- وأن كلا منهما يتجلى في أنماط وأنساق جزئية متغيرة؛ ويكسب كل جزء قيمته بما يقدمه للمركز من إضافات.

وأما الأمر الثاني: فهو الإقرار بعدم الوقوف عند حدود اكتشاف الدلالة في سياقها الفكري فحسب، بل ينبغي عليها ربط تلك الدلالات بما يتلاءم معها من عمق تراثي أو بعد حدائي.

ومن هذا المنطلق فإن هذا المقال سيحاول الإجابة على الإشكاليات الآتية: هل اختلاف المنطلقات يؤدي حتما إلى تعدد الآليات وبالتالي إلى اختلاف الرؤى وتعدد الدلالات؟ وما الشروط الموضوعية التي ينبغي اعتمادها في قراءة أي خطاب ديني؟ أليست الغايات هي التي تحدد طبيعة المنطلقات وتتحكم في فرض الآليات؟ وإذا كان الأمر كذلك أليس من الواجب أن تتعدد الرؤى بداعي اختلاف الغايات؟ أين يقف التراث وأين

جنس يشتمل سائر العلوم .. و قولنا " يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن " : هذا هو علم القراءات ، و قولنا " ومدلولاتها " : أي مدلولات تلك الألفاظ .. وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم . و قولنا " وأحكامها الإفرادية و التركيبية " : هذا يشتمل علم التصريف ، و علم الإعراب ، و علم البيان ، و علم البديع . و قولنا " و معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب " : ما دلالتة عليه بالحقيقة ، و ما دلالتة عليه بالمجاز .. و قولنا " و تتمات لذلك " : هو معرفة النسخ ، و سبب النزول " ⁴.

ويمكننا أن نجمل الفروق بينهما فيما ذهب إليه الذهبي وهي ⁵

- قال أبو عبيدة وطائفة معه: التفسير والتأويل بمعنى واحد فهما مترادفان ، وهذا هو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير .

- قال الراغب: التفسير أعم من التأويل ، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ والتأويل في المعاني .

- قال الماتريدي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا ، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع .

- قال الثعلبي: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً، والتأويل تفسير باطن اللفظ .

- التفسير ما يتعلق بالرواية ، والتأويل ما يتعلق بالدراية .

- التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة .

الترجيح بين الأقوال :

رجح الإمام الزركشي أن هناك فرقاً بين التأويل والتفسير وأنهما ليسا بمعنى واحد فقال: الصحيح تغايرهما ⁶.

قال الذهبي: والذي تميل إليه النفس من هذه الأقوال هو أن التفسير ما كان راجعاً إلى الرواية والتأويل ما كان راجعاً إلى الدراية ، وذلك لأن

الثالث: أن يراد بلفظ (التأويل): صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك، لدليل منفصل يوجب ذلك، وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفاً لما يدل عليه اللفظ ويبينه، وتسمية هذا تأويلاً لم يكن في عرف المتقدمين، وإنما سمي هذا وحده تأويلاً طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه وأصوله والكلام.

أصول التأويل في الفكر العربي وآلياته:

يقترن مفهوم التأويل في غالب الأحيان مع التفسير، ولهذا فلا ضير أن نجد من يعتبرهما شيئاً واحداً، وحتى نقف عند حدود هذين المصطلحين فإنه ينبغي علينا أن نقوم بإطلالة سريعة على الحدود التي يمكن أن يحملها كل منهما، لنبين نقاط الالتقاء والافتراق.

الفرق بين التفسير والتأويل: من الباحثين من

قال باتحاد المعنى: أي التفسير والتأويل واحد، ومنهم من قال: التفسير أعم من التأويل، وأكثر ما يستعمل التفسير في الألفاظ، والتأويل في

المعاني. وقال بعضهم: التفسير ما يتعلق

بالرواية، والتأويل ما يتعلق بالدراية. وعلى كلاً فالتفسير: هو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم، من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية..

أما التأويل: فهو في أشهر معانيه عند المتقدمين مرادف للتفسير، وقيل إن التفسير ما تعلق بنص واحد، واحتمل معنى واحداً، والتأويل ما تعلق بنص واحد، واحتمل أكثر من معنى. أما عند المتكلمين: فهو صرف اللفظ عن معنى ظاهر إلى معنى خفيّ لدليل يقترن به.

ومن أهم التعاريف الشاملة: تعريف أبي حيان في البحر المحيط حيث قال: "علم يبحث فيه عن

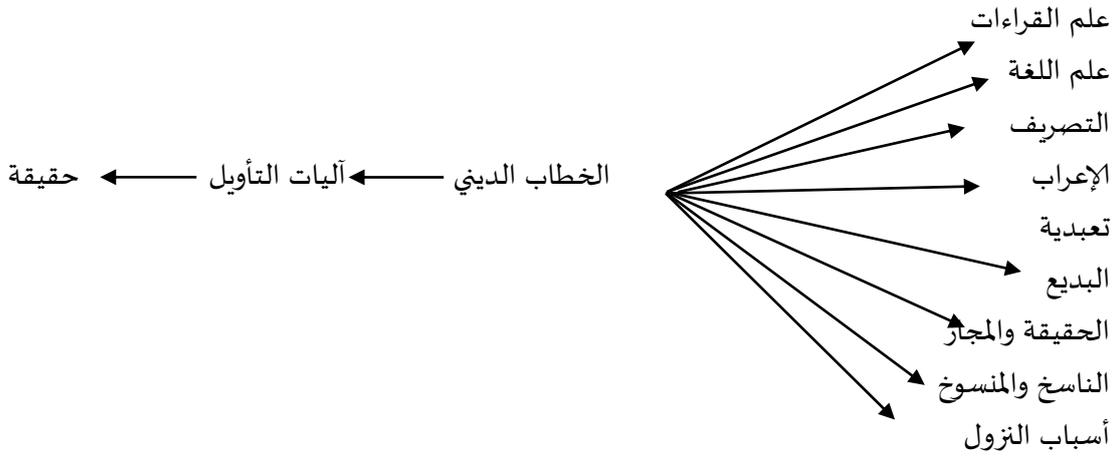
كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، و

أحكامها الإفرادية، و التركيبية، ومعانيها التي

تحمل عليها حالة التركيب، وتتمت لذلك .. ثم

يفصل التعريف فيقول: " فقولنا علم " : هو

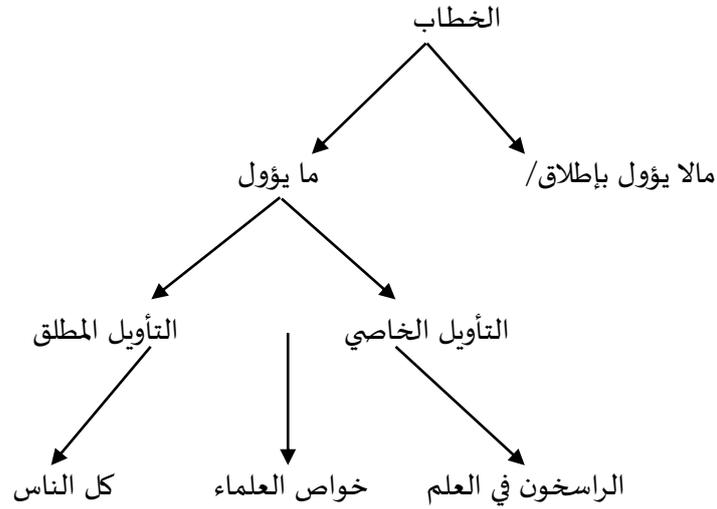
عليهم من معاني القرآن الكريم .
وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد احتمالات
اللفظ بالدليل ، والترجيح يعتمد على الاجتهاد
ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها
في لغة العرب واستنباط المعاني من كل ذلك⁷
ولنمثل لمنطلقات التأويل بالمخطط الآتي



يتبين من هذا أن ابن رشد وظف المنهجية
الرياضية المنطقية وهي:
الطرفان المتقابلان والوسط الذي يحتوي على
جنبتيهما؛ إحداهما تميل إلى مالا يؤول وثانيهما
ترجح نحو ما يؤول.
الإسداءس: غير أنه ظهر لابن رشد أن هذه العلائق
المنطقية المتحصلة من القسمة الزوجية؛ ومن
القسمة الرباعية لم تستوعب كل العلائق
الممكنة؛ ولذلك أضيفت علاقتان جديدتان
هما: الطرف المحايد والطرف المشوب، وقد استثمر
ابن رشد هذه العلائق ليصل إلى حلول توفيقية.
وتأكيد رفض ابن رشد لمبدأ التناقض فتح مجالاً
واسعاً لإنشاء علاقات متعددة ، مما أتاح بروز
أطراف محايدة وحلولاً توفيقية، وهكذا انطلق من
قسمة ثنائية كبرى لينتهي إلى خطاطة متعددة
العلائق وهي:

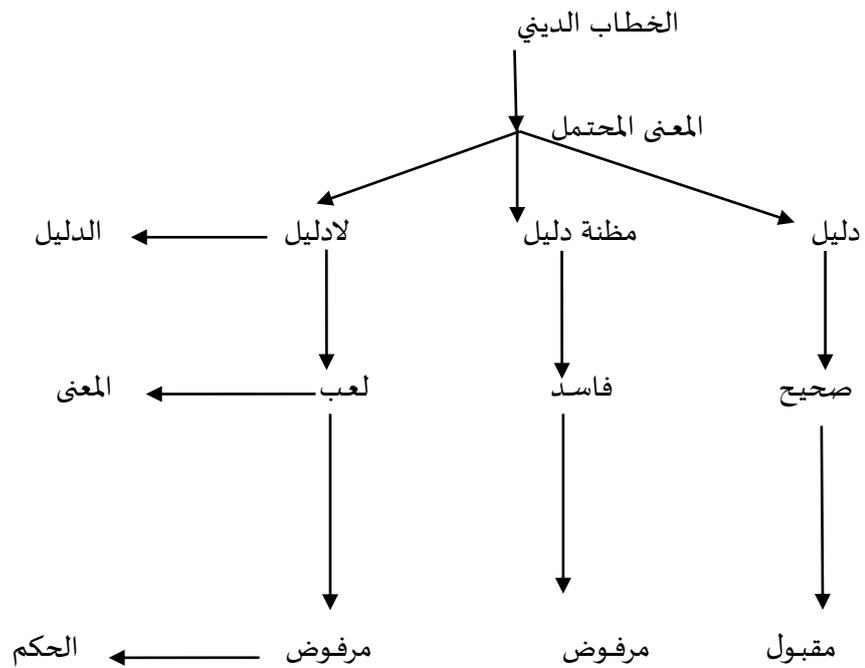
التفسير معناه الكشف والبيان
والكشف عن مراد الله تعالى لا يجزم به إلا إذا
ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن
بعض أصحابه الذين شهدوا نزول الوحي وعلموا
ما أحاط به من حوادث ووقائع وخالطوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورجعوا إليه فيما أشكل
:

آليات التأويل:
هذه الآليات هي ما حاول ابن رشد⁸ أن يستند
إليها ليضبط التأويل، ولذلك كان المنطق التاريخي
يفرض البداية، ولكن ما يشفع لنا هو المنهجية
التي اتبعناها التي تسعى لإبراز القوانين المجردة
المتعالية من خلال بنيات متجانسة أو كالتجانسة
أو متخالفة ولكنها تجنس بالمماثلة والمشابهة
-الأزواج: ينطلق ابن رشد من وضع أزواج يحلل -
في ضوءها- إشكالية التأويل ويقننه ليصل إلى
تحقيق رهانه وهذه الأزواج هي :التأويل
البرهاني/غير التأويل البرهاني؛ الخاصة /العامة؛ ما
يؤول/ ما لا يؤول؛ حقيقة/مجاز
الأرباع: وقد ظهر له أن زوج حقيقة/مجاز غير موف
بغرضه فولد من الحقيقة زوجاً ثانياً: ظاهر يجب
تأويله/ظاهر لا يجوز تأويله، وولد عن المجاز زوجاً
ثانياً هو: تشبيه وتمثيل يجب تأويله/ تشبيه
وتمثيل لا يجوز تأويله.



لدليل فصحيح أو لما يظن دليلاً ففاسد، أو لا شيء فلعب لا تأويل⁹ ولنتمثل مخطط التعريف:

وفي جمع الجوامع للسبكيورد: إن التأويل "هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل



أصل لفظة هرمنيوطيقا *herméneutique* يوناني *herménicia* وتعني فن التأويل، ويتعلق استعمالها بعدة مستويات: فهي تحدد أحيانا منهجا معيناً أو بالأحرى صنفاً من المناهج يستمد نموذجه من المسار المميز لتفسير النصوص الدينية أو بصفة أرحب من الأشكال المختلفة لتأويل النصوص *la demarche exégétique*؛ وهذا المنهج يبدو مناسباً حين يكون الموضوع متمثلاً في إبراز معنى مفترض، ولكنه غير معطى على نحو مباشر، فلفظة هرمنيوطيقا يمكن استعمالها كذلك للدلالة على التفكير أو النظر العقلي المتعلق بالمناهج التداولية أو الذي يهدف إلى تأسيسها وتبريرها وبالتالي إلى تحديد المبادئ العامة لمناهج البحث في مجال تفكيك الرموز وأخيراً تمثل لفظة هرمنيوطيقا نوعاً معيناً من الفلسفة حيث تجد المهمة السابقة ما يبررها انطلاقاً من نظرة خاصة للوجود أو للشعور أو للعقل، وهكذا تتوزع لفظة هرمنيوطيقا على ثلاثة مستويات هي:

- مستوى ميتودولوجي - مستوى إبستمولوجي - مستوى فلسفي. وكثيراً ما يتم ربطها بالعقل باعتباره ملكة تدير النشاط الفكري وعموماً هو "النشاط الفكري ذاته عندما نعتبره من ناحية ما هو جوهري أو بالأحرى ما يدير هذا النشاط باتجاه تامه وكماله".¹¹ والعقل يحوي "مجموعة الوظائف النفسية المتعلقة بتحصيل المعرفة كالشعور والذاكرة والتخيل والحكم والاستدلال"¹² ولقد أحدثت تحولات كبرى على العقل التأويلي خلال التاريخ؛ ومعنى التحول يعود بنا إلى تلك العلاقات المتشعبة التي تقيمها الهرمنيوطيقا الفلسفية المعاصرة مع تاريخ الممارسات التأويلية والتي تعود إلى عدة آلاف من السنين، ولم تعبرها الفلاسفة إلا في عصر شلايرماخر *scheleirmacher* (1768/1834)، فمنذ المشروع الذي وضع معالمه الأساسية شلايرماخر بخصوص

ومن خلال كل ماتم التطرق إليه نصل إلى الشروط الموضوعية التي ينبغي أن يتحلّى بها كل من أراد أن يتقلد هذه الرتبة، ونجمل أهم ضوابطه فيما يلي:

- أن يكون المعنى مما يمكن استنباطه من النص ومما تدل عليه اللغة من دلالات ومعان.
- أن يكون المؤول عالماً باللغة عارفاً قواعدها ملماً بمعاني الألفاظ.
- استقامة المؤول وسلامة عقيدته.
- أن يكون الحكم المستنبط عن طريق التأويل واضح الانسجام مع التصور القرآني العام في إقراره لمبادئ الإسلام وعقيدته مؤكداً القيم الإسلامية الثابتة، لأنه إذا انتفت صلة التواصل والانتماء بين النص والتأويل انتفت شرعية ذلك التأويل.

ينبغي على المؤول أن يضع في حسبانته أن قضية التأويل قضية معقدة، والتعقيد هذا ناجم عن ضرورة الإلمام بالعديد من المعارف والعلوم، وهذا الأمر لا يمكنه أن يتأتى إلا من خلال العمل الدؤوب المقرون بقوة العزيمة وصلابة الإرادة، إذ ينبغي التعامل مع موروثنا باعتباره "منظومة فكرية واحدة، تتجلى في أنماط وأنساق جزئية متغايرة في كل مجال معرفي خاص، فلم يكن سيبويه - مثلاً - وهو يضع البناء النظري والقوانين الكلية للغة العربية معزولاً عن إنجازات الفقهاء والقراء والمحدثين والمتكلمين. وبالمثل لم يكن عبد القاهر الجرجاني، ومن سبقه ومن تلاه من البلاغيين، يمارسون نشاطهم الفكري في مجال البلاغة خارج إطار علم الكلام وأصول الفقه، ناهيك بعلوم اللغة والنحو. ومن قبيل تحصيل الحاصل اليوم أن نقول أن علوم النقد والبلاغة لم تنعزل لحظة واحدة عن العلوم الدينية من كلام وفقه وتفسير"¹⁰

في الفكر الغربي:

عندئذ ستعتبر من طرفنا كأنها منعدمة الوجود بحيث ينبغي إيجاد الوسيلة لجعل : الفكر واقعيًا والطبيعة معقولة في آن واحد. إن المتأمل في نهاية الأمر هو الغزو العقلي للحرية وحركة الفكر في الشيء لاسترجاع كل القرارات الدنيا والعليا الموضوعية من طرف الروح.

عموما إن الفلسفة التأملية هي فلسفة نقطة الانطلاق والطريق المباشر، والمثل الأعلى يمكن في فهم الذات لذاتها، بمعنى الشفافية المطلقة والتطابق الكامل بين الذات وذاتها¹⁵ المنطلق التأملي والتأويل:¹⁶

إن مطمح الفلسفة التأملية يكمن في منح الإنسان إمكانية فهم ذاته من حيث وجودها، وفي هذا يقول بول ريكور "لا يصح اعتباره هرمونيطقيا إلا بمقدار ما أنه جزء من فهم الذات لذاتها زمن فهم الوجود" وهولا يساوي شيئا خارج هذا العمل الذي يسعى إلى امتلاك المعنى "ويقول في موضع آخر" إن الهرمونيطقيا تمثل في آن واحد تحقيقا وتحولا جذريا لبرنامج الفلسفة التأملية ذاته¹⁷ ويقترح بول ريكور مايسميه "بالمعرج الطويل" والذي نجد جذوره في فلسفة التأمل ذاتها على يد أحد ممثلها جون نابير(1881/1960)

كما ينادي بضرورة فتح التأويل على التحليل النفسي والسيميولوجيا لتتخذ بحكم ذلك الطريق الطويل وغير المباشر لتأويل العلامات الخاصة والعامية، النفسية والثقافية، ذلك أن ما يربط الذات المتكلمة والمتأمله وذاتها هو وساطة العلامات والرموز والنصوص أي مايسميه ديثي "بالتجسيد والتعبير" عن الحياة، فبالنسبة لديثي تبدو الحياة كديناميكا تهيكّل ذاتها بذاتها ولا يمكنها أن تؤوّل إلا بصورة غير مباشرة من خلال العلامات والانتاجات¹⁸

كما يتجلى البعد النقدي للتأمل باعتماده على فلسفة الشك

هرمينوطيقا ذات طموح فلسفي حتى بروز هيدغر Heidegger و Gadamer في خضم التأويل وإشكالاته مرورا بديثي Dilthey (1833/1911): خضع العقل التأويلي إلى تحول ضخم قبل أن يحتل مكانة هامة ومهمة لا حصر لها داخل الفضاء الفلسفي المميز لعصرنا الحاضر

منطلقات التأويل وآلياته¹³

الفلسفة التأملية: تعود الفلسفة التأملية إلى المذهب المابعد كانطي الفرنسي le neo-kantisme francais الذي أسسه لانيو Lagneau ولاشوليه Lachelier في أواخر القرن 19، وهذا المذهب الوضعي يسعى إلى استعادة الاندفاعة الحقيقية للميتافيزيقا الكانطية ضد التأويلات الظاهرية لها Les interpretations phenemones du Kantisme: أي التي تؤمن بأن لاوجود إلا للظواهر، وأن الشيء بذاته ليس سوى لفظ. فالفلسفة التأملية هي فلسفة الانعكاس على الذات حسب معنى لفظة réflexion من خلال العبارة الفرنسية Philosophie reflexive وهي بذلك تقوم على البدهة الحدسية الكوجيتو أي الشعور المباشر وعلى وضع مبدأ يعلوا بحق على كل التحديات المعقولة ولكنه يدرك كذلك بحكم فعل نظري ولو أن نمط معرفته أصبح مختلفا عن النمط الخاص بالأشياء المتعددة¹⁴ وجول لاشوليه 1832-1917 مؤسس الفلسفة التأملية ينطلق من الكوجيتو، من حقيقة الشعور التي لايطولها أدنى شك، وهو الذي يقول الكوجيتو "أنا أفكر" يصاحب كل تمثلاتي وهو يناضل ضد النزعة التجريبية والظاهرية وبين أنها لا تقدم لنا سوى وقائع لاروابط بينها . وفي مقال بعنوان : علم النفس والميتافيزيقا يقوم بمحاولة استنباط الطبيعة من فكرة الوجود بالطبيعة لا يمكن أن تكون خارجة عن الفكر على نحو مطلق لأنها

الزمان والمكان، وهي مختلفة عن دراسة أسباب هذه الظواهر وقوانينها المجردة الثابتة، أو عن البحث في الحقائق المتعالية المقابلة لها، أو عن النقد المعياري لمشروعيتها²⁰

وتتمثل مهمة الفينومينولوجيا إذا -بحسب اشتقاق اللفظة ذاتها- في وصف الظواهر بكل دقة والبحث في نمط ظهور أي شيء كان ويعبر بول ريكور من خلال قوله "الواقع أن الفينومينولوجيا نشأت بمجرد أن وضعت بين قوسين بصفة وقتية أو نهائية مسألة الكينونة للبحث في نمط ظهور الأشياء كمشكلة مستقلة"

كما أن لفظة الفينومينولوجيا تذكر خصوصا في زمننا الحاضر بشأن ادمون هوسرل ومنظومته، وكذلك المذاهب التي تعد مرتبطة به²¹. ومذهب هوسرل (1938/1859) يتضمن كقاعدة أساسية الذهاب إلى الأشياء ذاتها، حسب تعبيره استبعاد كل النظريات السابقة المتعلقة بالواقع والمعاني الكاذبة المستمدة من الماضي والتي من شأنها أن تعيق تقدم الفكر الفلسفي.

إن الفينومينولوجيا تقتضي العودة إلى الأشياء ذاتها أي اعتماد الظواهر لأنها هي الأمور المعطاة لنا حقا. وهكذا يشق هوسرل لنفسه طريقا بين فلسفات المطلق والمذاهب الطبيعية وهي مذاهب ترى أن لا وجود إلا للطبيعة، أي أن الحقيقة الواقعية المؤلفة من الظواهر المادية المرتبطة بعضها ببعض على النحو الذي تنشأ فيه في عالم الحس والتجربة²². والطبيعيون ينكرون وجود الصانع المدبر ويزعمون أن العالم وجد بنفسه دون حاجة لعلّة خارجة عنه. وبالتالي فإن مجرد وضع الوجود بين قوسين كما شرحه هوسرل في البداية أي البحث في الماهيات بغض النظر عن وجودها الامتناع-مؤقتا - عن أحكام الوجود المتعلقة بالماهيات، حتى ولو كان الوجود بينا جدا مثل وجود الأنا.

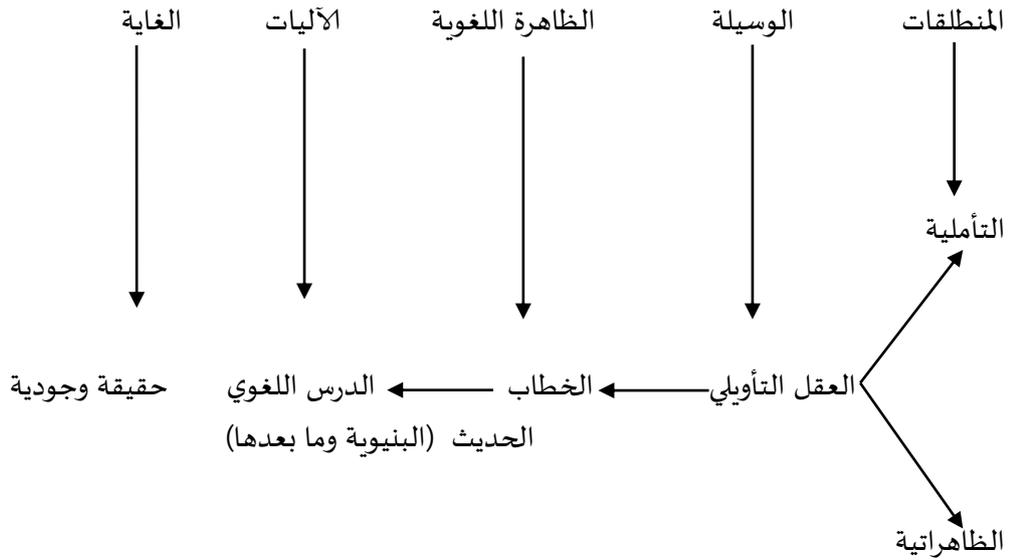
لقد أعاد ماركس ونيتشه وفرويد، كل في سجله الخاص طرح مسألة الشك لنقلها إلى صميم الحزن الديكارتي، فالديكارتيّة تثبت أن الأشياء مشكوك فيها وبالمقابل تنكر أن يكون الشعور مخالفا لما يبدو عليه، هناك توافق بين المعنى والوعي بهذا المعنى، وانطلاقا من مدرسة الشك يتحول الشك من مجال الشيء إلى الشعور ذاته، إن الكوجيتو عاجز عن التوصل إلى فهم ما ينتجه، ولذا ينبغي عليه اللجوء إلى خطاب آخر لتوضيح إنتاجاته وهي إنتاجات تكتسي معنا كامنا غير مباشر ينبغي استحضاره ورفعته من مستوى الباطن إلى مستوى الظاهر.

تلك هي مهمة التأويل المتمثلة في فك الآليات التي تتحكم في الشعور وتجعله غافلا عن ذاته، وهي بذلك تسمح بتقدير درجة عبوديته وتفسير انحسار حقله المعرفي والعلمي. إن ماركس ينطلق من فكرة "ليس الوعي هو الذي يحدد الحياة، وإنما الحياة هي التي تحدد الوعي"¹⁹ وعلى هذا الأساس أقام كارل ماركس نظرية الاغتراب التي تعبر عن حالة الشعور الذي ينفصل عن ذاته وتسلب خصائصه وقدراته، أي تحول إلى شيء آخر مختلف عنها ومتسلط عليها، وبعبارة أدق يتأسس على التمييز بين الوجود والماهية بحيث إن الإنسان يختلف في الواقع عما هو عليه في ذاته. أما فريدريك نيتشه فيلتقي مع ماركس في اعتماد منهج التأويل والبحث عن الأصل في صميم الواقع "إن الأفكار والقيم...منتوجات يقتضي توضيحها الكشف عن شروط وجودها، ولهذا فمفهوم الجينولوجيا يفيد البحث عن نشأة الظواهر الإنسانية وتطورها، أي معرفة الأصل والضرورة بدلا من العمل على إضافة مصدر متعال إلى نظام جامد من البنى النهائية الثابتة.

الفينومينولوجيا: إن التعريف العام للفظّة فينومينولوجيا-المذهب الظاهري-يفيد "الدراسة الوصفية لمجموعة الظواهر كما هي عليه في

من طرف الشعور وتأكيدهما على الخاصية "الموضوعية" للملازم القصدي للتوجه الذاتي وبالفعل فان هوسرل يعلمنا منذ الدرس الذي أعطاه سنة 1907 عن فكرة الفينومينولوجيا ، حيث شرع لأول مرة في وضع إشكالية الاختزال ، الترئسندنتالي (أي رد المعطيات في الشعور الساذج إلى ظواهر متعالية في الشعور المحض)، إن المحايثة بالمعنى الفينومينولوجي ("المحايثة الخالصة") حسب تعبير هوسرل -لاترد إلى مجرد مضامين واقعية لتجارب معيشة ، بل تحتوي كذلك على المحايثة القصدية . إن موت المؤلف ، والإنسان وقبلهما موت المؤلف لم يكن لي طرح لو لم يتم تبني هذه لفلسفة الإنسانية المتعالية بوجودها على الذات من حيث وجودها، وباختصار شديد لا يمكن للمقولات المعتمدة على موت المؤلف أن تقتحم مجال الخطاب الديني إلا ماكان منها متعلقا بالجوانب الجمالية فقط، ولنبيين العملية التأويلية في الفكر الغربي وفق المخطط الآتي:

إن الاعتبارات السابقة بخصوص مذهب هوسرل تسمح بوضع الفينومينولوجيا في موقع يتوسط كلا من الفلسفة التأملية والهرمينوطيقا، ويتصور مشروع ما يسميه بول ريكورب: "زرع الهرمينوطيقا في الفينومينولوجيا" معبرا بذلك عن ضرورة التوحيد بينهما نظرا إلى توفر شروط تحقيق ذلك . ففي ما بين الفلسفة التأملية المستندة إلى مبدأ "الشفافية المطلقة والتطابق الكامل بين الذات وذاتها" والهرمينوطيقا التي تعلمنا بأنه "لا وجود لفهم للذات لا يكون موسطا بعلامات ورموز ونصوص" ، هناك فينومينولوجيا هوسرل التي يحركها من ناحية حلم الفلسفة التأملية في التامين الذاتي الجذري ، والتي تتصف من ناحية أخرى باكتشاف القصدية التي تحيل إلى "أولوية الوعي بشيء ما على الوعي بالذات"²³ . إذن تلتحق الفينومينولوجيا من ناحية بالفلسفة التأملية عبر إثباتها بأن "المحايثة للذات لا ريب فيها" ولكنها من ناحية أخرى تنتمي إلى الهرمينوطيقا بحكم طرحها لمسألة المعنى المقصود



بعض الظواهر التي تجذب الانتباه ، فكل كائن يطمح إلى تفسير الظواهر المحيطة به ، قصد

خاتمة: إن قضية التأويل قديمة قدم الإنسانية ، وقدمها ذلك راجع للضرورة الملحة التي تفرضها

- ¹⁰ - نصر حامد أبوزيد ، إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، المركز الثقافي العربي، المغرب ط 7 ، 2005 ص5
- ¹¹ - اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، عويدات للنشر والطباعة ،ج2ص 53
- ¹² جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971، ج 2 ص54
- ¹³ -انظر: عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، الدار العربية للنشر والتوزيع ،بيروت، ط1، 1996 ص84
- ¹⁴ - بول ريكور ، نهضة الانطولوجيا ، الموسوعة الفرنسية ،العدد77ص68
- ¹⁵ - بول ريكور ،من النص إلى الفعل، تر: محمد برادة / حسان بورقية، الطبعة ، دار الأمان للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت، لبنان، ط1، 2002 م ،ص26
- ¹⁶ -لتفصيل أكثر:يمكن الرجوع إلى الموسوعات الفلسفية.
- ¹⁷ - بول ريكور ، من النص إلى الفعل ص25
- ¹⁸ نفسه ص27
- ¹⁹ - ماركس وانجلز، الايديولوجيا الألمانية، تر: فؤاد أيوب ، دار دمشق ،ص16
- ²⁰ - اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية ج2، ص55
- ²¹ -نفسه ص80
- ²² -عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية ص154
- ²³ -انظر: بول ريكور ، من النص إلى الفعل ص28

التعرف على ما حضر منها وما بطن ، ويزيد تأمله كلما كانت هذه الظواهر لا تتلاءم مع ما يملكه من معارف وعادات . إذا فالتأويل يعكس المبادئ و الأعراف ومشاعل الجماعات والأفراد ،ولهذا فلا غرو إذا اختلف التأويل من أمة إلى أمة أو من فرد إلى فرد في داخل الجماعة ذاتها وان شئت قلت في نفس الفرد الواحد .وان اختلفت التأويلات وتعددت فإن أصله وإجراه يرجع إلى مقولتين: الأولى غرابة المعنى عن القيم السائدة ، والثاني بث قيم جديدة بتأويل جديد ، أي إرجاع الغرابة إلى الألفة ، حتى يصبح الغريب أليقا . أضف إلى هذا فإن بعض الأشياء ذات طبيعة خاصة ولهذا ينبغي التعامل معها وفق الخصوصية التي تحملها، وإن استبعاد هذا الأمر سيؤدي إلى ضعف التأويل أو بطلانه أصلا.

الهوامش:

- ¹ - آل عمران7
- ² - ابن منظور، لسان العرب، تح:عبد الله عبد الكبير وآخرون، دار المعارف ،القاهرة، مصر مادة "أول" ج 1 ص171
- ³ - نفسه ج1ص172
- ⁴ - أبو حيان الأندلسي ،تفسير البحر المحيط، تح: صديقي محمد جميل الناشر: دار الفكر بيروت، 1420هـ ج3ص331
- ⁵ - الحافظ الذهبي ،المستدرک على الصحيحين، تح: مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين: 1417 - 1997، ج2ص169
- ⁶ -الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ج2ص14
- ⁷ - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، 2000، ج1ص22
- ⁸ - فرح أنطون . ابن رشد وفلسفته . دار الطليعة بيروت . 1981 ص 156
- ⁹ - انظر: جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد الحميد هندواوي، المكتبة التوفيقية - مصر، ص75